

برنامج أنوار كاشفة سلسلة رمز وحقيقة الحلقة الثالثة والعشرون

سفر المزامير

مستمعي العزيز ، مازلنا نتأمل بأحداث العهد القديم من الكتاب المقدس . لنكتشف المزيد من المعاني والرموز التي تشير إلى خطة الله الأزلية لإنقاذ الإنسان ، والتي تشير أيضا إلى المخلص المسيح . وكنا قد تحدثنا في اللقاء السابق عن سيرة الملك والنبى داود ، الذي أتى من نسله المخلص المسيح . وكيف مرت حياته بثلاث مراحل . فكان راعيا ، ثم طوردا وأهين ، وأخيرا أصبح ملكا . وتبين لنا أن المخلص المسيح مرت حياته بهذه المراحل الثلاث : فكان المسيح هو الراعي الصالح . ثم تألم وأهين بموته الكفاري على الصليب . وأخيرا أصبح المسيح هو الملك الحقيقي ، بقيامته المجيدة من بين الأموات .

وكما ذكرنا فإن النبى والملك داود كتب مجموعة من الأشعار الدينية الملحنة ، كانت تُرَنَّم على صوت المزمارة أو القيثارة . وهي التي تُعرف بإسم مزامير النبى داود، والموجودة في سفر المزامير من الكتاب المقدس .

سفر المزامير أو كتاب الزبور ، يعنى بلغتنا العربية سفر الحمد أو التسبيح . وقد عُرف أيضا بإسم مزامير النبى داود ، نسبة لعدد المزامير التي نسبت إليه ، والتي بلغت ثلاثة وسبعين من مئة وخمسين مزمورا . إن المزامير هي أشعار ملحنة صادرة من أعماق القلب ، وتعبر عن معاناة الإنسان في ظروفه المختلفة ، من حزن وفرح ، وألم وسرور ، ويأس وأمل . لكنها تشير أيضا إلى ثقة الإنسان الكاملة بالله ، وتوقع خلاصه . وتحتوي المزامير على العديد من النبؤات المتعلقة بالمخلص والملك المسيح . وهذا ما يؤكد أنها موحى بها من الله . لكل ذلك لم يكن غريبا أن تكون للمزامير مكانة خاصة في العبادة المسيحية ، على مدى العصور والأجيال .

سنقتصر في دراستنا لسفر المزامير ، على تلك المزامير المتعلقة بالمخلص المسيح . ولقد اقتبس المخلص المسيح آيات كثيرة من المزامير ، وطبقها على نفسه . وهذا ما يؤكد أن سفر المزامير حافل بالإشارات إلى المسيح .

يُذكر المسيح كثيرا في المزامير بإسم الراعي الصالح . ويُذكر أيضا بإسم صخر الدهور . حقا إن المسيح هو الصخرة الحية ، التي إن آمن بها الإنسان فيحيا إلى الأبد . وأشار إلى المسيح في المزامير أنه النور . ألم يقل المسيح عن نفسه : أنا هو نور العالم ، من يتبعني فلا يمشي في الظلمة بل يكون له نور الحياة ؟ وأشار إلى المسيح أحيانا أخرى بأنه الفادي . ويحدثنا المزمور المئة

والعاشر عن المسيح المخلص الآتي ، ويشير إليه بالكاهن إلى الأبد . لقد كان دور رئيس الكهنة قديما ، تقديم الذبيحة مرة واحدة في السنة للتكفير عن خطاياهم وخطايا كل الشعب . هكذا المسيح المخلص كان لأبد أن يكون كاهنا ، ليكفر عن ذنوب البشر جميعا . ولهذا قدّم المسيح جسده ذبيحة حية على الصليب ، للتكفير عن معصية الجنس البشري بأكمله .

لم يكتف سفر المزامير بالإشارة إلى المسيح الكاهن فحسب ، بل تتبأ بتفاصيل حادثة موت المسيح الكفاري على الصليب . فنقرأ في المزمور الثاني والعشرين هذه الآيات المعبرة بلسان المسيح على الصليب : " إلهي إلهي لماذا تركتني؟ .. كل الذين يرونني يستهزئون بي . يفغرون الشفاه وينغصون الرأس قائلين : اتكل على الرب فلينجحه . لينقذه لأنه سرّ به . . كالماء انسكبتُ ، انفصلت كل عظامي . صار قلبي كالشمع . قد ذاب في وسط امعائي . . لأنه قد أحاطت بي كلاب . وجماعة من الأشرار اكتفتني . ثقبوا يديّ ورجليّ . أحصي كل عظامي . وهم ينظرون ويتفرسون فيّ . يقسمون ثيابي بينهم . وعلى لباسي يفترون . " (مزمور ٢٢: ١ أ، ٧، ١٤، ١٦-١٨) أليس هذا ما حصل بالضبط مع المخلص المسيح على الصليب ؟ وهو ما أكدته البشائر الأربع في سردها لتلك الحادثة المؤلمة في الإنجيل المقدس . أي أن ماجاء في هذا المزمور ما هو إلا نبؤة واضحة عن صلب المسيح . لقد حمل المسيح على الصليب ذنوب البشر جميعا ، وأخذ نيابة عنا عقاب خطايانا . لهذا لم يكن غريبا في تلك اللحظة المؤلمة ، أن يحجب الله الأب وجهه عنه ، وأن يصرخ المسيح كإبن للإنسان : إلهي إلهي لماذا تركتني . ولقد كانت آلام المسيح النفسية على الصليب ، هي أقسى بكثير من آلامه الجسدية . ومع أن طريقة الصلب الرومانية ، لم تكن معروفة عند كتابة هذا المزمور . ومع هذا تتبأ المزمور عن ثقب اليدين والرجلين . وتحدث أحد المزامير عن قيام شهود زور ضد المسيح . ومزمور آخر تتبأ عن خيانة أحد تلاميذ المسيح له . لابل أن المزمور الرابع والثلاثين ، عدد ٢٠ تتبأ ، أن عظما من عظم المسيح لن يُكسر منه . وهو ما حصل بالضبط تماما .

لم يتبأ سفر المزامير عن موت المسيح الكفاري على الصليب فحسب ، بل تتبأ أيضا عن قيامة المسيح الظاهرة من بين الأموات . فنقرأ في المزمور السادس عشر، العدد العاشر، قول النبي داود بالروح القدس وعلى لسان المسيح : "لأنك لن تترك نفسي في الهاوية . لن تدع تفكيك يرى فسادا . " ولقد أوضح الرسول بطرس هذه الآية كما لاحظنا في اللقاء السابق ، في أنها كانت تشير إلى قيامة المسيح من بين الأموات . وكما ذكرنا سابقا ، فلقد تعيّن المخلص المسيح ملكا للملك وربا للأرباب بقيامته المجيدة . ولقد تتبأ داود في المزمور المئة والعاشر، العدد الأول عن ذلك بقوله : " قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى أضع أعدائك موطئا لقدميك . " وهذا الذي حصل بالضبط . فبعد أن أقام الله الأب المخلص المسيح من بين الأموات ، أصعده حيا إلى السماء ، وأجلسه عن يمينه في السماء ، أي في مركز الملك والسلطان ، إلى أن يبديد نهائيا الشر والأشرار . ولقد اقتبس المخلص المسيح

هذه الآية بالذات، التي ذكرناها قبل لحظات ، ليثبت لرجال الدين اليهود لاهوته ، أي إتحاده مع الله الأب . أي أكد المسيح أنه هو رب داود ، وإن كان قد أتى كإنسان من نسله .

وتنبأت مزامير عديدة عن المجيء الثاني الباهر للمسيح ، والدينونة التي ستقع على الأشرار ، وملك المسيح الأبدي . فنقرأ في المزمور الثامن والتسعين هذه الآيات المعبرة : " اهتفوا قدام الملك الرب . ليعج البحر وملؤه المسكونة والساكنون فيها . الأنهار لتصفق بالأأيادي الجبال لترنم معا . أمام الرب لأنه جاء ليدين الأرض . يدين المسكونة بالعدل والشعوب بالاستقامة." (الأعداد ٦ب - ٨)

ولقد وصف لنا المزمور الخامس والأربعون، العدد الثاني، المخلص المسيح بكلمات معبرة أخاذا فقال عنه هذه الكلمات : " أنت أبرع جمالا من بني البشر . انسكبت النعمة على شفقتك لذلك باركك الله إلى الأبد . " أما المزمور الثاني فقد تحدث عن أهم خصائص وصفات المسيح وألقابه . إذ دعي في المزمور ب "المسيح" وب "الملك" وب "الإبن" . ولا بأس في الختام أن نقتطف بعض الآيات من هذا المزمور البليغ : " لماذا ارتجت الأمم وتفكر الشعوب في الباطل . قام ملوك الأرض وتآمر الرؤساء معا على الرب وعلى مسيحه قاتلين : لنقطع قيودهما ولنطرح عنا ربطهما . الساكن في السموات يضحك . الرب يستهزئ بهم . إني أخبر من جهة قضاء الرب . قال لي أنت ابني أنا اليوم ولدتك . اسأني فأعطيك الأمم ميراثا لك وأقاصي الأرض ملكا لك . تحطمهم بقضيب من حديد . مثل إناء خزف تكسّرهم . " (مز ٢: ١-٧، ٤-٩) يكشف لنا هذا المزمور نبوة هامة للغاية . أن المسيح هو الملك الحقيقي ، وإبن الله الأزلي . الذي بالرغم من التآمر عليه ، وهذا ما تمّ بصلبه ، هو الملك الغالب والمنتصر الذي سيملك إلى الأبد . الملك الغالب المنتصر بقيامته الظاهرة ، وصعوده حيا إلى السماء . وهو جالس الآن عن يمين الله الأب في مركز الملك والسلطان . والذي سيأتي في مجيئه الثاني الباهر العظيم ، ليدين المسكونة وليملك إلى الأبد .

أدما : صديقي المستمع ، إننا ندعوك اليوم لكي تؤمن بهذا الشخص الفريد العجيب ، الذي تتبأ عنه الأنبياء وقبل تجسده بمئات السنين . ونقول لك مع كاتب المزمور الثاني الذي ختم مزموره بهذه الكلمات المعبرة : "فالآن يا أيها الملوك تعقلوا . تأدبوا يا قضاة الأرض . اعبدوا الرب بخوف واهتفوا برعدة . قبلوا الابن لئلا يغضب فتببدوا من الطريق ، لأنه عن قليل يتقد غضبه . طوبى لجميع المتكلمين عليه . " (مزمور ٢: ١٠-١٢)